مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

حرب الأيام الاثني عشر: قراءة أولية

أ.د صالح بن محمد الخثلان

مستشار أول

مركز الخليج للأبحاث

مهما تكن النتائج النهائية للحرب التي اندلعت في ١٢ يونيو وانتهت في ٢٤ منه، فإنها لم تخلُ من أثر إيجابي على أمن المنطقة، إذ أضعفت قدرات الطرفين الذين يُعدّان من أبرز مصادر التهديد في المنطقة.

فالبرنامج النووي الإيراني، رغم تأكيدات طهران المستمرة لطابعه السلمي، يبقى موضع قلق دائم بسبب الغموض الذي يحيط به، إضافة إلى تطلعات إيران الإقليمية وفرص تعظيمها في حال تحولها لقوة نووية، ولذلك فإن الضربات التي استهدفته، وإن لم تنهيه، ستؤدي بلاشك إلى تأخيره فترة كافية لدفع طهران للقبول باتفاق جديد يحفظ لها حق التخصيص لأغراض سلمية ويحول دون إنتاج سلاح نووي.

وفي المقابل، فإن الخسائر التي تكبدتها إسرائيل نتيجة هجمات الصواريخ والمسيرات الإيرانية، قد تحدّ من نزعة حكومتها المتطرفة بقيادة بنيامين نتنياهو، والتي لو خرجت من الحرب دون ضرر، لتعاظم لديها وهم التفوق ودفعها للمضي في مشروع الهيمنة على المنطقة واستباحة سيادة دولها، والسعي لإعادة رسم خرائطها، كما يروّج نتنياهو والمتطرفون في الحكومة الإسرائيلية منذ السابع من أكتوبر.

وعليه، يمكن القول أن الحرب، بما خلفته من أضرار متبادلة، أسهمت في إضعاف قدرات الطرفين بما يخدم أمن الإقليم ودوله، ولو مؤقتاً.

ولحظة إعلان وقف إطلاق النار بدأت حرب أخرى على منصات الإعلام، حيث يسعى كل طرف إلى إثبات انتصاره، مروّجاً بين أنصاره لحجم الخسائر التي ألحقها بالخصم وإدعاء خروجه بأقل الأضرار. هذه المعركة الإعلامية، وبالنظر إلى أدبيات الأزمات الدولية، وأهمية

التصوّرات كما عرضها روبرت جيرفز في دراسته حول سوء الإدراك في العلاقات الدولية وتأثيره على عملية صناعة القرار، قد تكون حاسمة في تشكيل سلوك ما بعد الحرب. فرغم أن المفهوم عادة ما يستخدم لوصف علمية صناعة القرار **أثناء** الأزمة، إلا أن توظيفه في مرحلة **ما بعد الحرب** مفيد لفهم توجهات الأطراف لاحقاً. وفي هذا السياق، يلاحظ انتشار استخدام خطاب "الانتصار التاريخي" الذي تروّجه إيران ضد إسرائيل، في الأوساط الإعلامية والشعبية في المنطقة. وفي حال استمر ترويج هذا الخطاب فقد يتحول إلى قناعة راسخة، ومن ثم يعزز موقع التيار المتشدد داخل إيران والميليشيات المرتبطة به، التي سترى في " الانتصار" دليلاً على **تفرد إيران** بين دول المنطقة على التصدي لإسرائيل وإلحاق الأذى بها. ووفقاً لهذه السردية، فإن "الانتصار" يُخوّل إيران رسم ترتيبات ما بعد الحرب في المنطقة ككل، ما يعني مزيداً من التدخلات والتوترات في علاقات إيران الاقليمية.

أما إسرائيل، فرغم تبنِيها هي الأخرى لسردية الانتصار، إلا أن طبيعة نظامها السياسي، الذي يسمح بتعدد الآراء وانتقاد الرواية الرسمية، إضافة إلى الخسائر التي لحقت بالبنية التحتية والمدنيين، سيحدّان من فاعلية هذه السردية داخلياً وخارجياً.

القصد هو أن السلوك المستقبلي لطرفي الحرب سيحدده بالدرجة الأولى قراءتهما لنتائج الحرب؛ فإدعاء الانتصار، وتقليل حجم الخسائر يعززان الميل نحو التصلب في المواقف، بل وقد يمهّدان لعودة التصعيد العسكري، لاسيما أن جذور الصراع لا تزال حاضرة.

لسنا هنا بصدد الدخول في تفاصيل تلك الجذور، لكن من الضروري الإشارة إلى عاملين أساسيين كانا وراء اندلاع الحرب الأخيرة: (أولًا) البرنامج النووي الإيراني الذي ترى فيه إسرائيل تهديداً وجودياً ولذلك لن تسمح أبداً باستكمال، (وثانياً) العدوان الإسرائيلي المستمر على غزة، وجرائم الإبادة التي ترتكب بحق سكانها، والتي فجّرت موجة غضب واسعة في المنطقة والعالم، وولّدت شعوراً لدى الحكومة الاسرائيلية بتفوقها العسكري وقدرتها على فرض الأمر الواقع بالقوة.

من دون معالجة جدّية لهذين الملفين، سيظل الصراع مرشحًا للانفجار من جديد. وهنا يبرز دور دول مجلس التعاون، ليس بوصفها مسؤولة عن إنهاء النزاع الإيراني–الإسرائيلي فهذه مسؤولية دولية، ولكن باعتبارها من الأطراف الأكثر تضررًا من أي حرب جديدة، وكذلك بسبب هشاشة المواقف الدولية: فالصين وروسيا، رغم مكانتهما، بدتا عاجزتين عن التأثير، فيما ظهر الغرب منحازًا بالكامل إلى إسرائيل، أما بقية الدول العربية، فتعاني أوضاعًا لا تؤهلها للعب دور فعّال.

ضمن هذا الواقع، تتأكد مسؤولية دول مجلس التعاون، وهي دول تنطلق في سياستها الخارجية من رؤية ثابتة ترتكز على الأمن والاستقرار كمدخل للتنمية والازدهار. وقد كشفت الحرب عن موقف خليجي موحّد، وهو مكسب مهم ينبغي البناء عليه وتطويره ليكون أداة تأثير نشطة في منع تجدد المواجهة.

السلوك المستقبلي لطرفي الحرب سيحدده بالدرجة الأولى قراءتهما لنتائج الحرب؛ فإدعاء الانتصار، وتقليل حجم الخسائر يعززان الميل نحو التصلب في المواقف، بل وقد يمهّدان لعودة التصعيد العسكري، لاسيما أن جذور الصراع لا تزال حاضرة

كان لحرب الأيام الاثني عشر أثراً إيجابياً إضافياً تمثّل في وضوح وحدة الموقف الخليجي تجاه أمن المنطقة وسرعة وكثافة التحرك الدبلوماسي لدول المجلس. فرغم أن هذا الموقف ليس جديداً من حيث المبدأ، إلا أن تجليه العملي في الأسابيع الأخيرة كان لافتًا، فقد بادرت دول مجلس التعاون قبل اندلاع المواجهة إلى إعلان رفضها استخدام أراضيها أو أجوائها من قبل أي طرف في النزاع. ومع انطلاق العمليات، سارعت إلى إصدار إدانات شديدة للهجمات الإسرائيلية، وهو ما لقي ترحيباً من طهران. كما كثّف القادة الخليجيون تحركاتهم الدبلوماسية مع الأطراف الدولية المعنية للحؤول دون التصعيد واتساع نطاق الحرب. وعندما تعرّضت السيادة القطرية للانتهاك بصواريخ إيرانية، جاء الرد الخليجي متماسكاً وقوياً أيضاً، مؤكداً أن دول المجلس، وإن أدانت العدوان الإسرائيلي، فإنها ترفض بالمثل أن تعرِض إيران أمنها لأي تهديد ضمن هذه المواجهة.

وفي هذا السياق، تبرز أهمية تكثيف التواصل مع إيران، خاصة مع الأطراف التي أبدت سلوكًا عقلانيًا خلال الحرب، مثل الرئيس ووزير الخارجية مع التنبه إلى أن التيار المتشدد المتمثل في الحرس الثوري، والذي يرى نفسه منتصرًا، سيحاول توظيف نتائج الحرب لفرض رؤيته على مرحلة ما بعد المواجهة.

لابد أن الحرب، بخسائرها وتداعياتها، بما في ذلك التهديد المباشر لحياة المرشد الأعلى ستترك تأثيراً داخلياً سيستدعي نقاشاً مكثفاً بين مراكز القوى في طهران، وعلى الرغم من أن النظام الإيراني يعتمد الانتخابات الرئاسية كآلية لإضفاء الشرعية، فإن الواقع السياسي يشير إلى أن إدارة الملفات الداخلية والخارجية تتم من خلال بنية تشاركية بين مؤسسات وشخصيات بقيادة وتوجيه من المرشد الأعلى. وقد كشف سلوك طهران خلال الحرب وجود رؤيتين داخل النظام:-

- تُركّز الرؤية الأولى على أن الحرب مثّلت مفاجأة استراتيجية، خاصة مع مشاركة القوات الأميركية فيها ولذلك يعتقد أصحاب هذه الرؤية أن إيران لن تكون في مأمن ما لم تطور قدرات ردع متقدمة، وفي مقدمتها القدرة النووية. ويستشهد هؤلاء بتجربتي كوريا الشمالية وباكستان كنموذجين يؤكدان أن حيازة الردع النووي هو أفضل ضمان لأمن الدولة. وفي حال تغلب هذا التيار، فإن التصعيد والمواجهة سيطبعان سلوك إيران في المرحلة المقبلة.

- الرؤية الثانية والتي برزت في الحراك الدبلوماسي الذي قاده عباس عراقجي، وفي اتصالات الرئيس مسعود بزكشيان خلال الحرب، تكشف عن وجود تيار داخل القيادة الإيرانية أدرك أهمية ضبط التصعيد وعدم توسيع نطاق الحرب، كما ظهر في الخطوة المحسوبة المتمثلة بإبلاغ الولايات المتحدة مسبقاً قبل استهداف قاعدة العديد. هذه الرؤية تؤمن بأن التفاوض، والانفتاح الإقليمي والدولي، هما السبيل الأنسب لضمان أمن إيران وتحقيق مصالح شعبها.

لا يمكن الجزم أيٌّ من الرؤيتين ستسود داخل مراكز القرار في طهران، إلا أن المشهد الإيراني يتطلب مراقبة دقيقة، مع أهمية دعم التوجه المعتدل الذي يعبر عنه الرئيس ووزير خارجيته، وانطلاقًا من ذلك، ينبغي على دول مجلس التعاون أن تتحرك وفق مسارين متكاملين:-

١. تأكيد موقف خليجي موحّد تجاه البرنامج النووي الإيراني، مع إيصال رسالة واضحة ومباشرة إلى طهران بأن استمرار التخصيب بما يتجاوز معايير الوكالة الدولية للطاقة الذرية يُعدّ أمراً غير مقبول، وسيقود حتماً إلى أزمة جديدة في الإقليم. هذا الموقف يحظى بإجماع دولي رافض لتحوّل إيران إلى قوة نووية ذات طابع عسكري

٢. توجيه رسالة إيجابية إلى الحكومة الإيرانية مفادها أن هناك مستقبلًا ممكنًا يقوم على الشراكة، وأن دول الخليج منفتحة على المساهمة في إنهاء عزلة إيران وإدماجها في الاقتصاد العالمي، بما يستجيب لتطلعات شعبها. وذلك مشروط بتخلّي طهران عن طموحاتها الإقليمية، ودخولها في اتفاق جديد يضمن حقها في التخصيب السلمي، ويبدّد في الوقت نفسه مخاوف دول الجوار والمجتمع الدولي.

أما فيما يخص إسرائيل والتي تتسبب سياساتها المتطرفة في استمرار حالة عدم الاستقرار في المنطقة، فإن على دول مجلس التعاون، وانسجاما مع مواقفها ومسؤوليتها الإقليمية، مواصلة حشد الضغط الدولي لتحقيق هدفين أساسيين:-

١. وقف العدوان على غزة فورًا، وإنهاء المجازر اليومية، ورفع الحصار والتجويع الممنهج الذي يتعرض له مئات الآلاف من المدنيين، في انتهاك صارخ لأبسط القيم الإنسانية والقانون الدولي.

> **توجيه رسالة إيجابية إلى الحكومة الإيرانية مفادها أن هناك مستقبلًا ممكنًا يقوم على الشراكة، وأن دول الخليج منفتحة على المساهمة في إنهاء عزلة إيران وإدماجها في الاقتصاد العالمي، بما يستجيب لتطلعات شعبها. وذلك مشروط بتخلّي طهران عن طموحاتها الإقليمية، ودخولها في اتفاق جديد يضمن حقها في التخصيب السلمي، ويبدّد في الوقت نفسه مخاوف دول الجوار والمجتمع الدولي**

٢. تهيئة الظروف لاستئناف عملية سلام جادة تؤدي إلى قيام دولة فلسطينية مستقلة، على أساس المرجعيات الدولية المعتمدة، مع مواصلة الجهود التي تقودها المملكة لحشد الاعتراف الدولي بدولة فلسطين.

إن دول المجلس تمتلك قدرات كافية للاضطلاع بهذا الدور، خاصة في ظل الزخم الدبلوماسي الذي راكمته خلال الحرب الأخيرة، ووجود شركاء دوليين متفقين معها على أولوية استعادة الاستقرار. ومن بين أدوات التأثير الممكنة، يبرز ملف التطبيع. فدول الخليج يمكن أن تطرح فكرة أن مسار التطبيع لم يحقق النتائج الإيجابية المتوقعة، سواء فيما يتعلق بالتهدئة أو بدفع مسار السلام، مما يستوجب إعادة تقييم هذا المسار ما لم تلتزم إسرائيل جدياً بوقف الانتهاكات في الأراضي المحتلة والدخول في تسوية سياسية حقيقية. وهذا التقييم، بطبيعته، يتطلب نقاشاً خليجياً صريحاً ومعمقاً يوازن بين الاعتبارات الوطنية والمصلحة الجماعية، ويؤسس لموقف موحد يُسهم في تحقيق الأمن والاستقرار الذي تتطلع إليه شعوب المنطقة وتسعى إليه دول المجلس.

أخيرًا، من أبرز الدروس المستفادة من حرب الأيام الاثني عشر، الحاجة الملحّة إلى تطوير رؤية مجلس التعاون الخليجي للأمن الإقليمي، التي أُعلنت العام الماضي بصيغة عامة ركزت على الأولويات والأهداف، دون أن تتضمن آليات تنفيذية واضحة أو تصوراً دقيقاً للإطار الأمني المطلوب. كما لم تحدد تلك الرؤية موقع دول الجوار الرئيسة، مثل إيران والعراق، ضمن أي هيكل أمني إقليمي محتمل. وقد أكدت هذه الحرب، بما حملته من مخاطر، ضرورة بلورة آليات فعالة تضمن أمن دول المجلس وجيرانها، وتوفّر استجابة استباقية للتوترات المحتملة، سواء كانت ناجمة عن صراعات إقليمية أو تغيّرات في موازين القوى.

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

4th Floor
Avenue de
Cortenbergh 89
1000 Brussels
Belgium
grcb@grc.net
+32 2 251 41 64